رايات الإسلام



فى اليرموك

رايات الإسلام

(٢)

فى اليرموك

بقلم : وصفى آل وصفى

الطبعه الثانيه



دار المعارف

الناشر دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج م ع

رايات الإسلام

بَدَأ القَرنُ السّابعُ الميلادِيّ والعَربُ في شِبْهِ الجَزيرةِ ضعافٌ ومتفرِّقون ، يَطْغَى عليهم الفُرْسُ بالعِراقِ – في الشّرْق . . والرُّومُ بالشّامِ – في الشّمالِ . . .

وبُعِثَ الرّسولُ ، ﷺ ، فَغيّرَ الإسلامُ حياةَ العَربِ تغييراً تامًّا . .

أمدَّهم بقّوةٍ حَقّقَتْ المُعجِزاتِ ، وجمَعَتْهم – في ظِلِّ راياتِه – طُمأْنينَةٌ نَفْسِيّةٌ تَنْبُع من سَماحتِه . . وحماسةٌ بُطوليّةٌ تبعثُها فيهِم أهْدافُه العَظِيمةُ . .

وكانتْ « مكّةُ » المَدينةَ الأُولَى في شِبْهِ الجَزيرةِ الّتي تَمتدُّ حوالَيْ أَلفِ كيلو مِترٍ مِنَ الشّرْقِ إلى الغَربِ . . وما يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الجَنوبِ إلى الشّمال ، لكنَّ هِجْرَةَ الرسولِ ، ﷺ ، نَقَلتْ مَقرَّ القِيادةِ الإسلاميّةِ إلى « يَثْرِبَ » الّتي أصبحَتْ تُعرَفُ باسْمِ « المَدينةِ » . .

وتُوُفِّىَ الرَّسولُ فى العامِ الحادى عشَرَ الهِجْرىِّ – السَّنةَ ٦٣٢ الميلاديّة – فتتابَعَ الخُلَفاءُ الرّاشِدُون بالمَدينةِ ، ومِنها خَرجَتْ راياتُ الإسلامِ لتُوحِّدَ شِبه الجَزيرةِ العَربيّةِ ، ثُمَّ انْطَلقَتْ إلَى العِراقِ والشّامِ ومِصَرَ . تُبشِّر الشعوبَ بالتَّحرير ، وتَزُفُّ إلَيها العَدلَ والحريَّةَ . . وتَصحَبُ المُؤمِنينَ فى مَعاركَ خالِدةٍ ما تزالُ أَخبارُها تُرْوَى فتُثيرُ الإعجابَ لَدَى القادةِ والجُنودِ ، وتَغْرِس العِزّةَ فى نفوسِ الناشِئة . .



في اليَرْمُوك

١

تَحقَّقَ وَعْدُ الله لِرَسولهِ ، ﷺ ، وفتَح المُسلِمونَ مَكّةَ فى العام الثَّامِنِ الهِجْرِىّ ، ودَخَلَ العَربُ فى دينِ الله أَفْواجاً . . وانتَشرَ الإسلامُ فى شِبْهِ الجَزيرةِ العَربيّةِ . .

وَتُوفِّى الرَّسولُ ، ﷺ ، بعدَ عامَيْن ، فصُدِمَ الناسُ بالمَدينةِ ، وغَلَبَ عليهم الشَّكُ إلى أنْ أَقبَلَ « أبو بكرٍ الصدِّيقُ » وأخْرجَهم من ذُهولِهِم بكلماتِهِ المَشهورةِ التى حفِظْناها جيلاً بعدَ جيلٍ : « أيُّها الناسُ ، مَنْ كانَ يَعبُدُ مُحمَّداً فإنَّ مُحمَّداً قدْ ماتَ . . ومَنْ كانَ يَعبُدُ الله فإنّ الله حَىٌّ لا يَموتُ . .

لكنَّ بعضَ القَبائلِ التى أسلمتْ حَديثاً اهْتَزَّ إيمانُها بوفاةِ الرّسولِ . وارتَدَّت عَنِ الإسلامِ ، فَشُغِل أبو بكرٍ بقتالِها . . وتمكّنَ « خالدُ بنُ الوليدِ » مِن القَضاءِ على فِتنةِ المُرتدِّين فى

« اليَـمامَةِ » ، فَثبتَتْ دعائِمُ الدّولةِ الإِسلاميةِ ، وَتَوحَّد شِبهُ الجَزيرةِ تحتَ قِيادةِ الصدِّيق . .

ولا يلبَثُ أَوَّلُ الخُلَفاءِ الرّاشدينَ أَن يُفكِّر فى تَحريرِ العراقِ . . والشامِ . .

يُحرِّرهما ؟ . .

أَجَلْ . .

فإِنّ بَعضَ القبائلِ كانتْ قدِ انتَقَلَتْ من شِبهِ الجَزيرةِ العربيّةِ إِلى العِراقِ والشّامِ ، وانتَشرتْ فى بلادِ هذيْنِ القُطْرينِ المُتَّصليْن بشِبهِ الجزيرةِ ، وصارَ للعربِ فيهِما مُلْكٌ ينافِس مُلكَ الفُرسِ ومُلْكَ الرومِ ، أَعْظَمِ الدُّولِ فى ذلكَ الوَقتِ ، وسادةِ العالَمِ القديم .

ويُحدِّثنا التاريخُ بأنَّ العربَ استَقرُّوا فى أنْحاءِ الشّامِ مُنذُ القرنِ الثّانى الميلادىّ ، ثمَّ لم يَلبَثوا أَنْ أَقامُوا هُناك مَمالكَ مَعْروفةً ، اتَّخَذوا لَها عَواصم متعدِّدَةً ، أَهَمُّها « تَدْمُر » [1] . .

---

(١) تَدْمُرُ أو « بالْميرا » مدينة فى الشّمال الشرقىّ من دِمَشْق عاصمة سوريا ، كانت محطّة تجاريّة عظيمة فى طريق القوافل ، وعاصمة الملكة زِنوبيا . . وقد فتحها الإمبراطور=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ
الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ
مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا
مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

وكثيراً ما سَمِعنا . . أو قَرَأنا . . عن المَلِكةِ العظيمةِ « زِنوبْيا » زوجةِ « أُذَيْنَةَ بْنَ السَّمَيْذَع » . . ملك تَدْمُر وكيف كانَت تُشارك زَوجَها فى الحُكمِ وقِيادة الجُيوشِ . فلمَّا ماتَ أَذَينةُ حَملتْ زِنوبيا أعباءَ الحُكم وحدَها ، واسْتطاعتْ أَن تَضُمَّ إِلى مملكتها مِصْر والشامَ . . والعِراقَ أيْضاً ! ودارتْ بينَها وبيْن الرُّومِ مَعاركُ شديدةٌ انتصَرتْ فيها عَليْهم ، ولمَ ينْجحُوا فى التَّغلُّبِ عليها إِلَّا بالخِيانةِ والغَدْرِ .

ومَنْ يُطالعُ التاريخَ يَستَولِ عليْه العجَبُ وهَو يتابِع أَنباءَ الإمبراطورِ « فِيليبَ » ويَعرفُ أنه كانَ زَعيماً لِبنى السَّمَيْذَعِ قبْل أن يَعْتلىَ عرشَ الإمبراطورية الرومانيّة ! .

وبَنُو السَّمَيْذَعِ هؤلاءِ كانتْ لهُم السِّيادةُ علَى عَربِ الشَّامِ طَوالَ القَرنِ الثالثِ الميلادىّ ، ثمّ خَلَفَهم « بنُو غسّانَ » الّذينَ بَلغَ مَجْدُهمِ الذِّروةَ فى القَرْنِ السّادسِ الميلادىّ واستَمرُّوا

= أورليانوس ، وضمَّها إلى مملكة الروم ، وظلت محتلة حتى حرّرها العرب واستردّوها بقيادة خالد بن الوليد .

يَحْكُمون الشّامَ تابِعينَ لِلرُّومانِ . . خاضعِينَ لسُلطانِهم . .
حَتى انتهَتْ دولةُ الرومانِ فى ذٰلِكَ القُطرِ العَربىّ بانتصارِ
المُسلِمينَ الرائعِ فى مَوْقعةِ « اليَرْمُوكِ » !



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

٢

استَشارَ الصِّدِّيقُ الصحابةَ من المُهاجرينَ – أهلِ مكَّةَ الّذينَ هاجَروا مَع الرَّسولِ ، ﷺ ، والأنصارِ – أَهْلِ المَدينةِ الّذينَ نَصَروه . ثمَّ اختارَ أَن يبدَأ بتَحْريرِ العِراقِ ، وبَعثَ خالدُ ابنُ الوَليدِ قائِداً عامًّا لِجيْشِ الفَتْح . .

وسُرعانَ ما اكتسَحَ جنودُ الإسلامِ جُيوشَ الفُرسِ ، وفَتحَ خالِدُ مدينةَ « الحِيرةِ » الشَّهيرة واتَّخذَها مَقرًّا لِقيادتِه . .

وكانَ أبو بَكرٍ قد بَعثَ « خالدَ بنَ سعيدٍ » عَلى رأسِ قوَّةٍ من المُجاهِدينَ لِيُعسكِرَ فى « تَيْماءَ » ، عَلى حُدودِ الشّامِ ، احْتِياطاً لأَيِّ عُدوانٍ رُوميّ عَلى أرضِ الإسلامِ . واجتَمَع حوْلَ خالدِ ابنِ سَعيدٍ عددٌ كبيرٌ من القَبائلِ المُجاورةِ ، فأغراهُ ذلك بغَزْوِ الشامِ والفَوْزِ بِنصْرٍ كبيرٍ يفتَخِرُ به . . كنصْرِ خالدِ بنِ الوليدِ فى العِراقِ !

وتَلقَّى الرُّومُ أخبارَ التجمُّعِ العَربىّ عَلى الحُدودِ ، وأنباءَ

الهَزائمِ الّتى حلّتْ بالفُرسِ فى العِراقِ ، فشَرعوُا يُعِدُّون جيشاً كبيراً عَهدوا بقيادتهِ إلى قائدٍ من أكبر قوادِهم هو « البِطْريقُ باهان » . .

والبِطريقُ كانَ أكبرَ لَقَبٍ عَسْكرىّ يَمنحُه الرومُ لِقُوادِهم . .

عِلمَ خالدُ بنُ سَعيدٍ بالتحرُّكاتِ الرُّوميّةِ ، فأرسلَ إلى الصِّدِّيقِ يَسْتأذِنُه فى قِتالِ الرُّومِ قبْلَ أن يُتمُّوا استِعدادَهم . . فأجابه أبو بكرٍ قائلا :

– أقْدِمْ ولا تُحجِمْ واسْتنْصِر الله !

ثم حَذّرهُ من التّقدُّمِ السَّريعِ قبْلَ أنَ يحمىَ ظَهرَه ، وأمدَّه بَعْد حينٍ بقوَّاتٍ جديدةٍ يقُودها « عِكْرِمَةُ بنُ أبى جَهْلٍ » و « الوَليدُ بنُ عُقبَةَ » . .

كما أمرَ « عَمرَو بنَ العاصِ » أن يَسيرَ إلى « فِلَسطين » . .

ولم يستَمِعْ خالدُ بنُ سعيدٍ لنُصْح الخليفةِ ، فسارَ على عَجَلٍ يُريد الالتحامَ بِجيْشِ الرُّوم الكَبيرِ ، الّذى يَقودُه البِطريق باهان ، إلَّا أنَّ البِطريقَ استمرَّ يتراجَعُ أمَامَه ، فلمَّا تَمَّ له

اسْتِدراجُ العَربِ إلى موقعٍ اختارَه بالقُرب من « دِمَشقَ » . . دارَ مِنْ حولهم وأوقَعَ بِهم خَسائرَ فادِحةً . .

وقَتل باهانُ سعيدَ بنَ خالدِ بن سَعيدٍ ، ومنَ كان معَه من جُندٍ ، فانْهارتْ عَزيمةُ أبيه خالدِ بنِ سعيدٍ ، وفرَّ هارِباً مع جماعةٍ من أصْحابِه . .

وظنَّ الرُّومُ أنَّهم سيَقْضُون عَلى المُسلمين . . إلَّا أن عِكْرِمَةَ ابنَ أبى جَهْلٍ تَولَّى القِيادَةَ بَعْدَ فِرار خالدِ بن سعيدٍ ، وتراجَعَ إلى حُدودِ الشَّامِ حيثُ تحصّن ، وراحَ يُنَظِّم القوَّاتِ الّتى كانتْ معه ، منتظراً ما يُقرِّره أبو بَكْرٍ الصّدِّيقُ . .

أمّا خالدُ بنُ سعيدٍ فقَد رفَضَ أبو بكرٍ أن يَسمَحَ له بدُخولِ المَدينةِ . .

عِندَما اجتَمعتِ القَبائلُ فى تَيْماءَ حولَ خالِد بنِ سعيدٍ طَمع فى الانتِصار عَلى الرُّوم ، لِيفتَخِر بِذلكَ بيْن الناسِ ، وليُعامِلَه الجَميعُ كما يُعامِلونَ خالدَ بنَ الوليدِ الّذِى انْتصَر علَى المُرْتَدِّينَ فى اليَمامةِ وانْتصَر على الفُرسِ فى العِراقِ . .

ونَبَّهه الخَليفةُ إلى خُطورَةِ التقدُّمِ السريعِ فى أرضِ

العَدوِّ ، لكنَّ رغبَته فى تَحقيقِ نَصرٍ عاجِلٍ يُباهى به شَغَلَه عن تِلك النَّصِيحة . .

وعِندَما اشتَدَّ القِتالُ ، واحْتاجَ الموقفُ إلى الصَّبر . . والتَّضحِيةِ . . والصلابةِ ، لم يُفكِّرْ فى مصير جَيْشهِ ، وهو يَتْركهُ بلا قائدٍ . . ولم يُفكِّر فى مصير المُسلمينَ إذا انْدفَع الرُّوم وراءه ، ودَخلُوا شِبْهَ الجَزيرةِ العربيّةِ . .

لذٰلك كلِّه لمْ يَرْضَ الصدِّيق أنْ يَدخُل خالدُ بنُ سعيدٍ مدينة الرّسولِ ، ﷺ . .



٣

اهتَمَّ المُسلمونَ لِلهَزيمةِ الّتِى أصابَتْ جنودَهم ، بسبَبِ الأَخْطاءِ التى ارْتكبَها خالدُ بنُ سعيدٍ ، بعدَ الانْتصاراتِ العَظيمةِ التى كسبَها خالدُ بنُ الوليدِ فى العِراقِ . وأشارَ الصَّحابةُ عَلى الخليفةِ بإرسالِ أكْبرِ عددٍ من المُجاهدينَ إلى الشّام ، حتى لا يَستغِلَّ الرّومُ انتِصارَهم ، ويَسْتمرُّوا فى التقدُّم جَنوباً ، مُحاولينَ القَضاء عَلى الدَّوْلةِ الإسلاميةِ الناشِئَةِ فى شِبهِ الجَزيرةِ العربيّةِ . .

وسيَّر أبو بَكرٍ إلى الشّام ثلاثةَ جُيوشٍ يقودُها : « يَزيدُ ابنُ أبِى سُفْيان » و « أبُو عُبيْدَةَ بنُ الجرَّاح » و « شُرَحْبيلُ بنُ حَسَنَةَ » ، بالإضافة إلى القوَّاتِ التى كانَ يَقُودها عِكْرِمَةُ بنُ أبِى جَهْلٍ وعَمْرُو بنُ العاصِ . .

وحدَّدَ الصّدِّيقُ لكلِّ جَيشٍ غايةً يَسعَى إلَيها ، فوجَّه يَزيدَ

إلى دِمَشْقَ . . وأبا عُبَيْدَةَ إلى « حِمْصَ » . . وشُرَحْبيلَ إلى « بُصْرَى » . .

وكانَ قدْ كلَّفَ عَمرَو بنَ العاصِ السَّيرَ إلى فِلَسطينَ . .

أمَّا جَيشُ عِكْرِمَةَ فَجعلَه احْتياطاً عامًّا . .

وأوْصَى القُوادَ الخَمْسةَ بأن يَتعاونُوا عندَ الحاجةِ ، وأن يَتولَّى أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجرّاحِ القيادةَ العامّةَ إِذَا دَعَتْ ظُروفُ القتالِ إلى اجْتِماعِهِم .

وأرادَ الرُّومُ أنَ يَفْعلوا بالجُيوشِ الجَديدَةِ ما فَعلُوه بِجَيْشِ خالدِ بن سَعيدٍ ، يَسْتدرِجونَها إلى المواقع التى يُحدِّدونَها ويَقْضُون عَلى كلِّ جيشٍ منها بعيداً عنِ الجيوشِ الأخرَى ، وجَمعوا لِذلكَ أربعةَ جيوشٍ ضَخْمةٍ ، بَلغَ مَجموعُها مِائَتَيْنِ وأربَعينَ ألفَ جُنْدىّ ، عَلى حينَ لم تَتجاوَز القُوّاتُ العربيّةُ جَميعُها أربعةً وثلاثِينَ ألفاً !

وأمامَ هذا التَّفوُّقِ العدَدِىِّ الهائِل أرسل القادةُ العَربُ يَسْتأْذِنون الخليفةَ فى أن يَضُمُّوا قوَّاتِهم ، وأنْ يَحتَشدُوا فى مِنْطقةٍ اختارُوها على الشاطئ الأيْسَر لنَهرِ اليَرْموكِ . تَبْعُد كثيراً


إن الله يدافع عن الذين آمنوا
إن الله لا يحب كل خوان كفور

عن نُقطةِ التقائِه بنَهْر « الأُرْدُنَ » . فلمَّا جاءتْهم مُوافقتُه ، نفّذُوا خطَّتهم وتَولَّى القِيادةَ العامَّةَ أبو عُبيْدةَ بنُ الجرَّاح . .

وعلِمَ الرُّومِ بتَجمُّعِ العَربِ ، فأسرعُوا بِدَوْرهم وضمُّوا جيُوشَهُم الأربعةَ ، لتُعَسْكِرَ على الجانبِ الأيْمنِ لِليَرمُوكِ . .

ومضَى شَهرانِ والفَريقانِ يَستعِدَّانِ ، وجَمعَ العَربُ المعَلوماتِ عَن مَوْقعِ الرُّوم ، فتبيَّنوا أنَّهم يُعسْكِرونَ فى سَهْلٍ تُحيطُ به الجبالُ من ثلاثِ جهاتٍ . . وليْسَ لَهُ غيرُ مَنْفَذٍ واحِدٍ من جِهةِ الشَّرقِ . .

وكانَ هذَا أحدَ الأخْطاءِ التى ارْتكبَها الرُّومُ عند اليَرْمُوك ، وقدِ اسْتغَلَّ العربُ الخَطأَ فَعَبرُوا اليرموكَ ، وأقامُوا على ذٰلك المَنْفَذِ الوحيدِ لِمُعسْكَرِ الرُّومِ . كذلكَ أَخطئُوا باختِيارِهم مَوْقفَ الدِّفاعِ ، فلم يَستفِيدُوا من ضَخامةِ الجُيوشِ التى عبَّئُوها !

كانَت قُواتُهم سَبْعةَ أضْعافِ الجُيوشِ الإسلاميةِ مُجتمعةً ، ومع ذٰلكَ لمْ تكنْ لدَيْهم الشَّجاعةُ لِيَبْدءُوا بالهُجومِ علَى المُسلمينِ

ووقَفَ عَمرُو بنُ العاصِ يَنْظر إلى مُعْسكَرِ الرُّومِ بيْن الجِبالِ ، فَلمْ يَلبَثْ أَن صاحَ قائِلاً :

– أيّها الناسُ أَبْشِروا ! حُصِرَتْ واللهِ الرومُ !



٤

عَسْكَرَ العَربُ شَمالىَّ اليَرْموكِ ، وأغْلقوا المَنفَذَ الوحيدَ لِمُعسكَرِ الرُّومِ . ومَضتِ الأيَّامُ وكلُّ فَريقٍ فى موقعِهِ ، يُحاوِلُ الرُّومُ الهُجومَ فَيردُّهمِ العربُ ثم يَعودونَ إلى مُعَسْكراتِهم .

وكتبَ المُسلِمونَ إلى الخَليفةِ يَطلبُون المَددَ ، فجَعل أبو بكرٍ يشاوِرُ الصَّحابةَ ويُفكِّر . .

صَحيحٌ أنَّ عددَ الرُّومِ سَبْعةُ أمثالِ المُجاهدينَ العَربِ ، ولكنْ . . هل حقَّقَ المُسلِمونَ انْتِصاراتِهم السّابِقةَ بكَثْرةِ العَدَدِ ؟ لا ! إنَّما كانُّوا بأمْرَيْنِ : قيادةٍ ماهرةٍ . . وإيمانٍ قَوىٍّ ، بِعَوْنِ الله . .

والمُجاهِدُون فى الشَّامِ لا يَنقُصهم الإيمانُ ، وهُمْ صَحابةُ الرَّسولِ من المُهاجرينَ وَالأنْصارِ . .

وإذَنْ ؟

وإذنْ فهُم يَحتاجُون إلى قائدٍ عَبْقَرِىٍّ ، يُقِرُّ له الجَميعُ بالتّفوّق . . .

تُرَى مَنْ يكون ؟

وأعلَنَ أبو بكرٍ قرارَه قائِلا : « والله لأُنْسِيَنَّ الرومَ وَسَاوسَ الشَّيطانِ بِخالدِ بنِ الوليدِ ! » . .

« سَيْفُ الله » خالدُ بنُ الوليدِ ، الذى لمْ يَخسَرْ معركةً قَطُّ .

أسْلَمَ فى السَّنةِ الثامِنةِ للِهجْرةِ ، وبَعْد أشْهُرٍ خَرَجَ مُجاهداً فى جيْشِ المُسلمينَ السائرِ إلى « مُؤْتَه » . .

وكانَ الرَّسولُ قد بعَثَ إلى « هِرَقْلَ » إمبراطورِ الرُّومِ ، وإلى بَعض العَربِ على حُدودِ الشّامِ يَدْعوهم إلى الإسلامِ ، فَقَتلَ مَن أرْسلَهم ﷺ جميعاً إلّا واحِداً . لذلِكَ جرّد الرَّسولُ جَيشاً لتأْديبِ المُعتَدِينَ يقودُه « زيدُ بنُ حارِثَةَ » ، عَلى أن يَخْلُفَه إذا استُشهِدَ جَعْفرُ بنُ أبى طالبٍ ، ومِنْ بعدِه « عبدُ الله ابنُ رواحَةَ » . .

وعِندَ مؤْتَةَ دارَ القِتالُ بينَ جيشِ المُسلمينَ الّذى لمْ يتَجاوَزْ عدَدُه ثلاثَة آلافِ مُقاتِلٍ ، وقُواتٍ كبيرةٍ من الأعْداء ،

وَاستُشْهِد القُوّادُ الثّلاثةُ الذين ذَكَرَهُم الرَّسولُ . .

واحْتاجَ المُسلمونَ إلى قائدٍ يُنْقِذ المَوقفَ ، فاجْتَمَعتْ كَلِمتُهم علَى اخْتِيار خالِد بنِ الوَليدِ . .

واستَطاع خالدٌ أن يَنْسَحِبَ بالمُسلمينَ انْسحاباً مشَرِّفاً . .

قاتلَ الرُّومَ وحُلَفاءَهم من بَنِي غَسَّانَ إلى المَساء ، وفى اللَّيل أبْدَل مواقِع المُجاهدين : أخَّر جُنودَ المُقدِّمةِ ، وقدَّمَ من كَانوا وَراءها ، والّذين كانُوا فى المَيْمَنةِ وَضَعَهمْ فى المَيْسَرةِ ، والّذينَ كانُوا فى الميْسَرةِ حوَّلهم إلى الميْمَنةِ . .

وأرسل إلى الخلْفِ جَماعةً تُثيرُ الغُبارَ عندَما يَبدأُ القِتالُ ، وترفَعُ أصواتَها بالتَّكبيرِ . .

وطلَع الصّباحُ ، ففُوجئَ الأعْداءُ بقوّاتٍ مُخْتلِفةٍ تَقفُ قُبالَتها ، وشاهَدُوا الغُبارَ من بَعيدٍ ، وسمِعُوا أصواتَ التَّكبيرِ . . فاعتقَدوا أنَّ مَدداً كبيراً جاءَ المُسلِمينَ ليلاً وما زالَ يصلُ تباعاً !

ولمّا بدَأَ خالِدٌ يَنسحِبُ لم يَتْبعُوه ، خَشيَةَ أَن يكونَ المُسلمون قد أعَدُّوا لهم كَميناً !

ونجا خالدُ بالمُجاهِدينَ عائِداً إلى المَدينةِ ، ومنذُ ذلِكَ اليوم حمَلَ اللَّقبَ العَظيمَ : سَيفَ الله . . بعْدَ أنْ دعا لهُ الرَّسولُ ، ﷺ ، قائِلا : « اللَّهُمَّ إنّه سَيفٌ من سُيوفك ، فأنتَ تنْصُره ! » . .

إلَى سَيفِ الله أصدَر أبُو بكرٍ أمْرَه لِيُدركَ المُسلمِينَ بالشام ، ويَتولّى القيادةَ العامّةَ هُناك ، فلَم يُضِع خالدٌ الوَقتَ ، واختار طَريقاً طويلةً وصَعْبةً . . كَىْ لا يَلْقَى مَنْ يَعوقُ مسيرتَه من الرّومِ أو حلفائِهم العربِ .

قطَعَ خالدُ الطّريقَ مِنَ الحيرةِ إلى بُصْرى فى ثَمَانيةَ عشرَ يوماً ، وبلَغ اليَرْمُوك ، فأقامَ شهراً يتعرَّفُ حَركةَ الأَعداءِ وتَنظِيمَهُم . .

وكان هِرَقْلُ قد عزّزَ جَيشَه فى اليَرْموكِ بالبِطريقِ باهانَ الذى هَزَم خالَدَ بنَ سَعيدٍ ، لكنَّ سَيْفَ الله . . خالدَ بنَ الوليدِ . . الّذى دعَا له الرَّسولُ ، ﷺ ، لم يَلبَثْ أنِ انتَصَر على باهانَ انتصاراً ساحقاً . .

نظّمَ خالِدُ الجُيوشَ العربيّةَ فى اليَرموكِ ، بعدَ توحيدِها . .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ
وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ

ونَشِط البِطريقُ باهانَ فى تعْبئةِ الرُّومِ حتّى بدا كأنّه يَستَعِدُّ لهُجومٍ سريعٍ ، عَلى حينَ كانتِ الجيوشُ العَربيةُ تقيمُ فى مُعسكرات مُنْفصِلَةٍ ، وكلُّ قائدٍ يُدبِّر أمورَ جَيشِه بالطَّريقةِ التى يَراها . .

قسَّمَ خالِدُ المُجاهدين فى الجيش المُوَحَّدِ فِرقاً - عُرِفت باسْمِ « الكَرادِيس » ، كلُّ فِرقَةٍ منها - أوكُرْدُوسٍ - يَتَكوَّن من ألْفِ رجلٍ . ووزَّع الكَرادِيسَ عَلى المَيْمنةِ وَالمَيْسرةِ والقلْبِ ، وجعلَ قيادةَ الميْمنةِ لعَمْرو بنِ العاصِ يُعاونُه شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنَةَ . . وعلَى الميْسرَةِ أقامَ يَزيدَ بنَ أبى سُفْيانَ . . أمَّا القَلبُ فأَسنَد قَيادَتَه لأبى عُبيدَةَ بنِ الجَرَّاحِ ومعَه عِكْرِمةُ بنُ أبى جَهْلٍ . .

وكانَ أبو عُبيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ قدْ أوصَى نِساءَ المُسلِمينَ بأنْ يَعْترِضْنَ طريقَ من يَضْعُفُ من المُسلمينَ ، ويمْنَعنَه من الفِرار ، فحَشَدهُنّ خالدُ وراءَ الجَيْش ، وأَمَرَهُنَّ أن يَقتُلنَ كلَّ من يمُرُّ بهنَّ مُنهَزماً !

ورسمَ خالِدُ خطَّةً لاستدراجِ الرُّومِ بعيداً عن مَواقِعِهم التى

حَفَروا أمامَها الخَنادقَ ، فكلَّف عِكْرمةَ بنَ أبى جهْلٍ ، و « القَعْقاعَ بنَ عمرٍو التميمىِّ » الهُجومَ بكَرْدُوسَيْها فَجراً حتى يبلُغَا خَنادقَ الرُّومِ ، وبعدَ حِينٍ يتَظاهرانِ بالانْهزامِ ويتَقهْقَرانِ . ونَفَّذَ القائِدانِ المُهمَّةَ بنجاحٍ ، فلم يَكادَا يَأخُذان فى التَّراجعِ حتّى أمَرَ باهانُ فُرسانَ الرُّومِ بالهجوم !

وكان فى جيشِ الرومِ ثَمانونَ ألفَ فارسٍ !

وكان عِكْرمةُ يَقُودُ كُرْدُسةً أمامَ الخَيْمةِ التى اتَّخَذها خالدٌ مَقرًّا لِقيادتِهِ عندما شاهدَ الرومَ يَدْفعُون قواتِ المَيْمَنةِ إلى الوَراء ، فيَتراجعُ أغلبُ رجالِها ، وفى الحالِ صاحَ منادياً :

— « مَن يبايعُ على المَوتِ ؟ » . .

وسُرعانَ ما تَبِعه أربَعُمائةٍ من فُرسانِ المُسلمينَ ، وانْدَفعوا لنَجدَةِ المَيْمَنةِ غيرَ مُبالينَ بما يُصيبُهم ، وأفلَحُوا فى صدِّ الهُجومِ الرُّومىِّ على المَيمَنَةِ بعدَ قتالٍ استُشْهِد فيه عَددٌ كبيرٌ منهم . .

واستَمرَّ القِتالُ إلى الغُروب . .

وأخيراً تَمكَّن المُسلمونَ من الفَصْل بينَ فرسانِ الرومِ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ
وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ
إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ

ومُشاتِهم ، فأمرَ خالدٌ بمُحاصَرةِ الفُرسانِ حِصاراً شديداً ، فلـما ضاقَ فرسانُ الرُّوم بالقِتال ، وأصابَهُمُ التَّعبُ – فتَحَ المُسلمونَ أمامَهم ثُغْرةً أغرتْهم بالخُروج منها طالبِين النَّجاةَ . . تاركينَ المُشاةَ لِمَصيرهم !

وكانَ مَصيرُهم السُّقوطَ فى الهاويَةِ !

كانُوا قدِ اتّخَذُوا خَنادِقَهم فى مُواجهةِ العَربِ ، ومِن ورائِهم هاوَيةٌ عميقَةٌ ، هىَ هاويةُ « الواقُوصةِ » . وفى هذه الخَنادِقِ رابَطوا بعدَ أن شَدُّوا أنفُسَهم بالسَّلاسِلِ والعَمائمِ ، كلُّ عشرةٍ مَعاً ، لِيمنَعوا مُرورَ العَربِ من بَيْنهم . . وأيضاً لِيَستَحيلَ الفِرارُ عَلى من يَضعُف مِنهم ؟

فلمّا أَخْلَى فُرسانُهم المَيدانَ ، واقتَحم العَربُ عَليهم الخَنادقَ ، جَعَلوا يَتراجَعُونَ ويَسْقطونَ فى الهاويةِ !

عَشَراتٍ !

مِئاتٍ !

أُلوفاً !

مِائَةُ ألفٍ منهم أو تَزيدُ قُتِلُوا فى ذلِكَ اليومِ من العام ٦٣٤

المِيلادىّ ، وقُتِل معهُم أخو هِرَقْلَ وعَددٌ كبيرٌ من أمرائِهم . .

واستطاع باهانُ أن يَهرُب ، لكنّ انْتصارَ اليَرموكِ كان بدايَةَ النِّهايةِ فى تاريخ الإمبراطوريةِ الرُّومانيةِ ، وطَليعةَ الفُتوحِ الإسلاميةِ . .

فلمْ تَلبثْ راياتُ الإسلامِ أن عَلتْ خَفّاقةً لِتُرفرفَ عَلَى الشّام كلِّه . . ثم على مصرَ .

وفى الشّرقِ أيضاً كانت الرّاياتُ تَتقدَّمُ بأيدِى مُجاهِدينَ أَقْوياءَ آخَرين ، لتَقْضِىَ على الباطل فى « القادِسيَّةِ » . .



رقم الإيداع	١٩٩١ / ٣٦١١
الترقيم الدولى	ISBN 977 – 02 – 3253 – X

١ / ٩١ / ٧١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

رايات الإسلام



دار المعارف

ص
١٠٠